الفصل الثالث

تدوين السنة والعناية بها

السنة في عهد الرسول - صلي الله عليه وسلم :-

عني أصحاب رسول الله - صلي الله عليه وسلم -بالسنة النبوية عناية بالغة . فحفظوها ، وتثبتوا في نقلها ، وبلغوها إلي من لم يسمعها ، فضلاً عن تطبيقها في حياتهم ، وأنماط سلوكهم .

وهناك عدة عوامل دينية وفطرية واجتماعية ونفسية ساعدت في استظهار الصحابة - رضوان الله عليهم - لأحاديث الرسول ، وحفظها : فقد أوجب القرآن الكريم طاعة رسول الله ، وحذر من عصيان أمره ، وجعل سنته مبينة للقرآن : (وأنزلنا إليكَ الذكر لتُبَيِّنَ للنّاس مانُزِّلَ إليهم) ثم هي الأصل الثاني في التشريع بعد الكتاب كما بينا من قبل .

وقد استجاب الصحابة لترغيب الكتاب والسنة في تحمل العلم وتبليغه والتحذير من كتمانه والاعراض عنه قال تعالي : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[١] . وقال أيضاً : (يَرفَع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلمَ دَرَجات)[٢] وبحض رسول الله - صلي الله عليه وسلم - علي العلم . فيقول فيما يرويه عبدالله بن مسعود : (نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتي يبلغه، فرب مبلَّغٍ أحفظ له من سامع)[٣] وفي رواية أخري فرب حامل فقه لا فقه

---

(١) سورة الزمر : ٩/٣٩ .

(٢) سورة المجادلة : ١١/٥٨ .

(٣) انظر : مسند الامام أحمد : ٩٦/٦ حديث رقم ٤١٥٧ باسناد صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان .

له ، ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه)[١] . وقد كان نهيه - صلي الله عليه وسلم - عن كتابة السنة في بادىء الأمر - كما سنوضح بعد - أحد العوامل التي دفعت الصحابة إلي حفظ السنة ، والتثبت منها .

وقد أعانتهم فطرتهم التي جبلوا عليها من الاعتماد علي الحافظة ، والتعويل عليها باعتبارهم أميين لا يقرءون ولا يكتبون علي استيعاب سنة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وحفظها ونشرها .

يقول أنس بن مالك في ذلك : كنا نكون عند النبي - صلي الله عليه وسلم - فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتي نحفظه[٢] .

وكان لبساطة حياتهم الاجتماعية ، ودعتها ، وعدم تعقدها ، ما حثهم علي حفظ السنة ، وبخاصة أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - أصبح قدوتهم ، والمثل الأعلي لهم ، وهو معهم في الحضر والسفر ، والسلم والحرب ، يعلمهم ويرشد جاهلهم، ويصل رحمهم،ويقري ضيفهم،ويواسي منكوبهم،ويشيع ميتهم،حتي أحبوه أكثر من نفوسهم،أو كما يقول عروة بن مسعود رسول قريش في صلح الحديبية :(يامعشر قريش إني قد جئت كسري في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله مارأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً)[٣] . وقوم هذا شأنهم مع نبيهم فإنه من الطبيعي أن يحفظوا أحاديثه وأن ينشروها في الآفاق ، قولاً ، عملاً ، منهجاً ودستوراً . وقد كان حبهم

---

(١) انظر : المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب : ٦٠ الطبعة الأولي ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م القاهرة .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ٣١٤/٢ تحقيق الاستاذ مصطفي السقا وزميليه الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م طبعة الحلبي .

الصادق لرسول الله - صلي الله عليه وسلم - نابعا من نفوسهم يعلو علي حبهم لآبائهم وأبنائهم وأموالهم مصداقاً لقوله - صلي الله عليه وسلم - (لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين) فأقبلوا عليه بمشاعرهم وقلوبهم حتي النساء طلبن منه تخصيص يوم لهن بعد أن غلبهن الرجال . يقول أبو سعيد الخدري : (قالت النساء للنبي صلي الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن)[١] كما كن يشهدن بعض المواسم الجامعة كصلاة الجمعة والعيد والحج وغير ذلك .

ومما ساعد علي حفظ السنة ، وتثبيتها في قلوب الصحابة وأفئدتهم طريقته - صلي الله عليه وسلم - في التربية لأصحابه ، إذ كان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة والملل كما يقول ابن مسعود[٢] مع بلاغة في التعبير ، وبراعة في التفهيم وإبانة عن القصد ، فكان يفصل كلامه تفصيلاً ، ويعيد مايقوله ثلاث مرات - أحيانا - ليفهم عنه ويحفظ ، يقول أنس - رضي الله عنه -: (إن النبي - صلي الله عليه وسلم -كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتي تفهم عنه)[٣] . ولم يكن - صلي الله عليه وسلم - يسرد الكلام كسردنا ، ولكن إذا تكلم تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها بحيث لو عده العاد لأحصاه .

تلك هي بعض العوامل التي ساعدت علي حفظ السنة وانتشارها بين المسلمين[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم باب هل يجعل للنساء يوم علي حدة في العلم ؟ حديث رقم ١٠١ .

(٢) انظر : البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي صلي الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة حديث رقم ٦٨ .

(٣) انظر : البخاري كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه حديث رقم ٩٥ .

(٤) انظر في تفصيل العوامل التي ساعدت علي حفظ السنة كتاب : دفاع عن السنة للاستاذ محمد أبو زهو : ٤٧ - ٥٢ طبعة الأوقاف ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م والسنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب : ٦٨ - ٧٣ .

وقد كان لهذا الاهتمام بالسنة والعناية بها مظاهر متعددة منها :

أنهم كانوا يتناوبون دروس العلم حين تشدهم الحياة بضرورياتها ، سعياً وراء الرزق وتحصيل معاشهم.يقول عمر بن الخطاب في ذلك : (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول علي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك[١]).

وكان الصحابي إذا عنت له مسألة أو حاجة ارتحل إلي رسول الله وقطع المسافات الشاسعة ليقضي حاجته ، ويؤدي طلبته ، فهذا عقبة بن الحارث يرحل من مكة إلي المدينة ليستفتي الرسول في أمر ثم يرجع بعد معرفته للحكم الشرعي ، يروي البخاري تحت عنوان (باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله)[٢] عن عقبة بن الحارث (أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتت امرأة فقالت : إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج ، فقال لها عقبة : ماأعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - بالمدينة فسأله فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم -: كيف وقد قيل ؟ ففارقها عقبة ونكحت غيره .

ومن مظاهر العناية كذلك:تخصيص يوم للنساء كما قلنا من قبل،فقد كان التعليم للرجال والنساء ، ولم تكن المرأة في نهج الدعوة الجديدة كما كانت في الجاهلية،بل كان لها أثر عظيم في تلقي العلم ، ونشره ، وبخاصة فيما يتعلق بالنساء والحياة الزوجية ، وكان الصحابي يبعث امرأته لتسأل نساء النبي- صلي الله عليه وسلم- في الأمور الخاصة ، فقد وجد أحد الصحابة وجدا شديداً حين قبّل امرأته وهو صائم، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك،فدخلت علي أم سلمة أم المؤمنين،فأخبرتها،فقالت أم

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم،باب التناوب في العلم،الحديث رقم ٨٩ وقد سمي ابن حجر هذا الجار بأنه عثمان بن مالك؛ ثم قال : (أفاده ابن القسطلاني لكن لم يذكر دليله) .

(٢) كتاب العلم حديث رقم ٨٨ .

سلمة : إن رسول الله يقبل وهو صائم ، فرجعت المرأة إلي زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك شراً ، وقال لسنا مثل رسول الله يحل الله لرسوله مايشاء ، فرجعت المرأة إلي أم سلمة ، فوجدت رسول الله عندها فقال رسول الله : مابال هذه المرأة ؟ فأخبرته أم سلمة ، فقال : الا أخبرتها أني أفعل ذلك ؟ فقالت أم سلمة : قد أخبرتها ، فذهبت إلي زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً وقال : لسنا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله مايشاء فغضب رسول الله ، ثم قال:والله إني لأتقاكم لله ولأعلمكم بحدوده[١] .

ومن مظاهر احتفاء الصحابة بالسنة:تدوينهم لبعضها في عهد رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وهو أمر يحتاج إلي بيان وتفصيل .

ذلك أنه قد ورد عنه - صلي الله عليه وسلم - بعض الأحاديث التي تنهي عن الكتابة ، وورد عنه أيضاً أحاديث بالإذن في الكتابة .

فمن الأول ما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله- صلي الله عليه وسلم -قال : (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[٢] .

ومن الثاني قوله - صلي الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمرو حين نهته قريش عن الكتابة والرسول بشر يتكلم في الرضا والغضب فقال : (اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق)[٣]. وشكا رجل من الأنصار قلة حفظه إلي الرسول فقال له - صلي الله عليه وسلم -: (استعن علي حفظك بيمينك ، وأومأ بيده إلي

---

(١) ذكره الإمام الشافعي في الرسالة : ٤٠٤ -٤٠٥ فقرة ١١٠٩ ويبدو أن هذا الصحابي هو عمر ابن أبي سلمه حين سأل الرسول - صلي الله عليه وسلم - نفس السؤال وأحاله علي أم سلمة واعترض بمثل الاعتراض السابق ، انظر صحيح مسلم:كتاب الصوم باب حكم القبلة في الصوم، حديث رقم ١٦ .

(٢) صحيح مسلم:كتاب الزهد باب التثبت في الحديث رقم ٦٩ وجامع بيان العلم وفضله : ٦٣/١ إدارة الطباعة المنيرية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(٣) جامع بيان العلم : ٧١/١ ورواه الدارمي في سننه .

الخط)[١] وفي خطبته - صلي الله عليه وسلم - يوم فتح مكة استأذن صحابي يدعي أبا شاه أن يكتب شيئا سمعه في الخطبة فقال الرسول لأصحابه (اكتبوا لأبي شاه)[٢] .

بل إن الرسول - صلي الله عليه وسلم - كتب كتباً كثيرة في حياته إلي الملوك والرؤساء والقبائل وغيرهم[٣]، وكتب كتباً للديات والفرائض والصدقات والسنن لعمرو بن حزم وغيره[٤] ومن المشهور أنه ساعة اشتداد مرض الوفاة عليه قال : هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده : قال عمر : إن النبي - صلي الله عليه وسلم - غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت وكثر اللغط فقال : (قوموا عني)[٥] .

وهذه الأحاديث الواردة في النهي عن الكتابة وفي إباحتها لا يمكن قبول رأي ابن قتيبة[٦] في التفريق بينهما ، إذ يعلل تصريحه - صلي الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمرو بالكتابة بأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان ، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ولما آمن علي عبد الله بن عمرو أذن له . فلم تكن قلة الكتابة مانعة لصحابة رسول الله - صلي

(٣) جامع بيان العلم : ٧١/١ ورواه الدارامي في سننه .

(١) رواه الترمذي انظر : توضيح الأفكار للصنعاني : ٣٥٣/٣ تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد طبعة الخانجي سنة ١٣٦٦ هـ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة وتحريم صيدها وخلاها الحديث رقم ٤١٧ وهو في مسند الامام أحمد : ١٢/ ٣٥ ورواه البخاري كذلك كما يقول ابن كثير في اختصار علوم الحديث : ١٣٢ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر طبعة صبيح وأولاده الطبعة الثالثة .

(٣) انظر مجموعة كبيرة من كتب النبي ووثائقه السياسية في كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله طبعة بيروت .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : لأبي عمر يوسف بن عبد البر المتوفي سنة ٤٦٣ هـ : ٧١/١ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الاعتصام باب كراهية الاختلاف حديث رقم ٧٣٦٦ .

(٦) تأويل مختلف الحديث : ١٩٢ طبعة بيروت .

الله عليه وسلم - من كتابة القرآن الكريم كله وحفظه في الصدور والسطور ، وقد بلغ كتبة الوحي بين يدي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - أربعين رجلاً كان أكثرهم مكيين ، وزاد هذا العدد أضعافا بعد الهجرة إلي المدينة،وإنشاء الرسول في مسجده صفة كان الكاتب المحسن عبد الله بن سعيد بن العاص يعلم فيها الراغبين الكتابة والخط[١].

لقد انصرف الصحابة بدوافع قوية إلي القرآن وتلقيه ، وكتابته،وحفظه،بتوجيه من الرسول ، ولم تكن دوافعهم نحو تدوين السنة تماثل حماسهم للقرآن الكريم وتدوينه ، ولعل مرجع ذلك نهي الرسول لهم بعدم كتابة السنة . فهي - فضلاً عن أنها أكثر من أن تحصي.فإن تدوينها أقوالاً وأعمالاً وتقريرات تدوينا محفوظاً في الصحف والرقاع من العسر بمكان ، وقد خشي النبي - صلي الله عليه وسلم - كما يقول الإمام النووي[٢] أن تختلط السنة بالقرآن وذكر ثلاث إجابات عن الحديث الوارد في النهي :-

الأول : أن النهي في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله علي الكتابة إذا كتب، وأن من لم يثق بحفظه فله أن يكتب .

الثاني : أن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث ، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن في الكتابة .

الثالث : إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه علي القاريء في الصحيفة الواحدة .

ونهي الرسول يحتمل هذه الاجابات الصحيحة ، فقد روعي في توجيهه لعدم

---

(١) أنساب الاشراف مخطوطة القاهرة : ١/ ٤٣٠ نص علي ذلك الدكتور حميد الله في صحيفة همام : ٦ انظر:علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ١٧ .

(٢) شرح مسلم للنووي : ٥/ ٨٤٨ طبعة الشعب .

الكتابة (الزمان وروعيت فيه الأشخاص ، فنهي الرسول - صلي الله عليه وسلم - عن كتابة الأحاديث مع نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن ، ولا سيما إذا كتب هذا كله في صحيفة واحدة ، مع القرآن ، ثم أذن إذنا عاماً حين نزل أكثر الوحي وعرف المسلمون القرآن معرفة رافعة للجهالة وميزوه عن الحديث ، وزال خوف اختلاطه بالسنة ، وفي نفس الوقت أذن لبعض الصحابة كعبد الله بن عمرو وغيره ممن لا يختلط عليهم القرآن بالسنة أو من يصعب حفظهم أن يدونوا السنة[١] .

وقد اختار صاحب (تنقيح الأنظار) موافقاً الصنعاني[٢] أن النهي كان في أول الأمر لخوف اختلاط الحديث بالقرآن فلما أمن ذلك أذن فيه ، وهو اختيار ابن الصلاح في مقدمته من قبل .[٣] فهذا الأذن في الكتابة كان آخر الأمرين ، فحديث أبي شاه في أواخر حياته - صلي الله عليه وسلم - وحديث أبي هريرة - وهو متأخر في إسلامه - أن عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنه هو لم يكن يكتب يدل علي أن عبدالله كان يكتب بعد إسلامه مما يؤكد أن الاذن في الكتابة كان بعد النهي ، وهو أمر أجمعت عليه الأمة ، قال في تنقيح الأنظار[٤] : وبالجملة فلو

---

(١) انظر في ذلك : علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح : ١٩- ٢٢ وتعليق الشيخ محي الدين عبد الحميد علي توضيح الأفكار ٢/٣٥٣ - ٣٥٤ والسنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب : ٣٠٦ -٣٠٨ .

(٢) انظر : توضيح الأفكار علي تنقيح الأنظار : ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦ واختار الشيخ أحمد شاكر في الباعث الحثيث : ١٣٣ القول بنسخ حديث أبي سعيد وضعف الأقوال الأخري . وقد رأيت أنه يمكن التفريق بينها ، وأنه ماأراد من النهي في حقيقة الأمر إلا التدرج في علاج هذا الأمر حتي يتميز أسلوب القرآن وتتضح معالمه وخصائصه فلا يلتبس بالسنة وهذا لا يمنع بعض أفراد الصحابة أن يكتبوا عنه إذنا منه واستثناء من القاعدة العامة في النهي ، والتي رفعت بعد ذلك

(٣) انظر : التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي زين الدين عبد الرحمن المتوفي ٨٠٦ هـ - ص : ٢٠٣ بتحقيق الاستاذ عبد الرحمن محمد طبعة ١٤٠٥ هـ .

(٤) انظر : توضيح الافكار : ٢ / ٣٦٥ .

تركت الكتابة في الأعصار الأخيرة لكان ذلك سبيلاً إلي الجهل بالشريعة ، وموت كثير من السنن ، وقال ابن صلاح في المقدمة[١] : (ثم إنه زال بعد ذلك الخلاف وأجمع المسلمون علي تسويغ ذلك وإباحته ، ولولا تدوينه في الكتب (حديث رسول الله) لدرس في الأعصر الآخرة والله أعلم) .

من الصحف المدونة في عصر الرسول - صلي الله عليه وسلم -[٢] :

وجد في عصر رسول الله - صلي الله عليه وسلم - صحف كثيرة كصحيفة عمر بن الخطاب ، وصحيفة علي بن أبي طالب ، وسعيد بن عبادة الأنصاري ، وجابر بن عبدالله وغيرهم ، وللرسول - صلي الله عليه وسلم - كتب ورسائل إلي الملوك والرؤساء ، وله كتب أخري ككتاب عمرو بن حزم عامله علي نجران ، وغير ذلك مما يؤكد وجود صحف في عهد النبوة،وإن كان لم يصلنا منها إلا النذر اليسير[٣]، ووصلنا بعض مااحتوته في بطون أمهات الكتب الاسلامية .

ونسوق ثلاثة أمثلة لهذه الصحف التي دونت في عصر الرسالة لنؤكد أن تدوين السنة لم يتأخر حتي عهد عمر بن عبد العزيز كما هو الشائع في دراسات المؤرخين للسنة ، بل إن هذه الكتابة التي كانت في عهده - صلي الله عليه وسلم - تعد أول تدوين للسنة[٤].

---

(١) انظر : مقدمة ابن الصلاح بشرح التقييد : ٢٠٤ .

(٢) يراجع في ذلك : علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ٢٣ - ٣٩ والسنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب : ٣٤٣ - ٤٥٧ ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله .

(٣) انظر نماذج من كتب رسول الله - صلي الله عليه وسلم - مصورة في مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله .

(٤) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي للحجوي : ١ / ٥٤ .

صحيفة النبي - صلي الله عليه وسلم -[١] :

وهي التي كتبها بين المهاجرين، والأنصار، واليهود، في العام الأول من الهجرة وتتضمن مواد دستورية للدولة الجديدة ، تبين حقوق المهاجرين والأنصار ومن تبعهم واليهود وغيرهم . هذه الصحيفة قد صُدِّرت بلفظ الكتابة ، وذكرت في طياتها كلمة (الصحيفة) سبع مرات ، ففي مقدمتها تقول : (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس) وجاء في ثناياها :

- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه .
- وأن بينهم النصر علي من حارب أهل هذه الصحيفة .
- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
- وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلي الله وإلي محمد رسول الله - صلي الله عليه وسلم -.
- وأن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم علي مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الاثم لا يكسب كاسب إلا علي نفسه وأن الله علي أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره[٢] .

---

(١) انظر نص هذه الصحيفة محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً موثقة بمراجع في عدة لغات بلغت صفحتين ونصف الصفحة لدي الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة : ٣٩ - ٤٧ الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

(٢) هذه نصوص متفرقة من النص الأصلي جمعناها لما فيها من ذكر الصحيفة سبع مرات وليس خمساً كما ذكر الدكتور صبحي الصالح في علوم الحديث ومصطلحه ٣٠ وتبعه في ذلك الدكتور محمد عجاج الخطيب في السنة قبل التدوين : ٣٤٤ .

وهذه النصوص تؤكد أهمية هذه الصحيفة،واشتهارها،وتواتر نقلها ، وأنها وثيقة في غاية الأهمية ، باعتبارها ميثاقاً للدولة الاسلامية الجديدة ، وأقدم دستور مدون في العالم كله،يكفل الحقوق لكل رعايا الدولة ، مسلمين وغير مسلمين .

الصحيفة الصادقة : لعبد الله بن عمر بن العاص (٧ق هـ-٦٥هـ)

وهي التي كتبها بعد إذن الرسول له بالكتابة كما مر ، ولعله سماها الصادقة لأن مافيها مأخوذ عن الصادق المصدوق محمد - صلي الله عليه وسلم-وقد رأي مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤ هـ) صحيفة عبد الله بن عمرو ، وكانت عزيزة عليه جداً كمايحكي عنه ، يقول عنها : هذ الصادقة فيها ماسمعته من رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وليس بيني وبينه فيها أحد[١]وربما كان يحفظها في صندوق له حلق،خشية عليها من الضياع ، وقد حفظ هذه الصحيفة أهله من بعده . ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يحدث منها[٢] لكن هذه الصحيفة فقدت ، وإن كان ماتضمنته من أحاديث قد رواه الامام أحمد في مسنده وأصحاب السنن في سننهم ، وقد أحصيت أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فبلغت (٤٣٦) حديثا هي مجموع أحاديث (الصادقة) بيّن فيها المكرر مقارنة بما روي عن عبد الله في مسند أحمد والسنن الأربعة[٣] .

وعلي أية حال فهي وثيقة تاريخية ذات أهمية بالغة في تدوين السنة وكتابتها في عهده - صلي الله عليه وسلم -.

الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (المتوفي سنة ١٣١ هـ) :

هذه الصحيفة رواها همام بن منبه عن الصحابي الجليل أبي هريرة وسماها : (الصحيفة الصحيحة) علي مثال صحيفة ابن عمرو (الصحيفة الصادقة).فهي

---

(١) انظر : أسد الغابة لابن الأثير : ٣ / ٣٥٠ طبعة الشعب .

(٢) انظر في ذلك : السنة قبل التدوين : ٣٤٩ .

(٣) قام بهذه الاحصائية الاستاذ محمد عليش في دراسة له عن:مسند عبد الله بن عمروصحيفته=

في الحقيقة إحدي صحف أبي هريرة وكانت صحفه كثيرة جداً[١]،لكنها نسبت إلي التابعي همام بن منبه الذي ولد قبيل سنة ٤٠هـ ، وقد توفي أبو هريرة - شيخه - سنة ٥٨ هـ ، أي أن هذه الوثيقة العلمية التاريخية قد دونت قبل وفاة أبي هريرة،أي في منتصف القرن الهجري الأول . وتلك نتيجة علمية باهرة تقطع بتدوين الحديث في عصر مبكر ، وتصحح الخطأ الشائع أن الحديث لم يدون إلا في أوائل القرن الهجري الثاني[٢] .

إن لهذه الصحيفة أهمية تاريخية عظمي في تاريخ تدوين السنة،وإن كنا نخرجها من الصحف التي كتبت في عصر النبوة ، وترجع هذه الأهمية إلي أنها وصلت إلينا كاملة غير منقوصة،كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة،وقد قيض الله لهذه الصحيفة الجديرة باسم (الصحيحة) والتي تعد أقدم تدوين في الحديث النبوي - كما يقول حاجي خليفة[٣] أن تظهر إلي النور علي يدي المحقق الدكتور محمد حميد

= الصادقة : ٦٧١ ، نقلاً عن : السنة قبل التدوين : ٣٤٩ للدكتور عجاج الخطيب ، وقد ذكر الدكتور عجاج في نفس الصفحة السابقة عن ابن الأثير أنه قال إن الصادقة تضم ألف حديث ، وهو يتابع في ذلك ماقاله الدكتور صبحي الصالح في علوم الحديث ومصطلحه : ٢٧ . والحق أن ماذكره ابن الأثير لا يفهم منه ذلك فنص عبارته (حفظت عن النبي صلي الله عليه وسلم ألف مثل) ٣ / ٣٤٩ وليس من اللازم أن يكتب كل ماحفظ .

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر : ١٢ / ١٦٥ طبعة الهند ١٣٢٧ هـ وذكر الدكتور صبحي الصالح ص ٣١ أنه قد رآها ابن وهب كما في : (فتح الباري ١ / ١٨٤) وعمرو بن أمية الضمري كما في (جامع بيان العلم وفضله ١ / ٧٤) وقد رجعت إلي الكتاب الأخير فوجدت أن ابن عمرو وليس عمراً - سأل أبا هريرة عن حديث فأنكره فقلت : (إني قد سمعته منك فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي فأخذ بيدي فأرانا كتباً كثيرة من حديث - رسول الله صلي الله عليه وسلم - فوجد ذلك الحديث فقال : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي) وقد عقب ابن عبد البر علي الرواية التي تثبت كتابة عبد الله بن عمرو بأنها أصح إسناداً من هذه .

(٢) علوم الحديث ومصطلحه : ٣٢ .

(٣) انظر : كشف الظنون : ١ / ص ٢٠ .

الله ، فقد عثر علي مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين[١] ، وتبين أن ماورد فيهما ذكر بتمامه في عهد أحمد بن حنبل وأن كثيراً منها ذكره البخاري في أبواب مختلفة[٢] .

وتزداد ثقتنا يقيناً حين نقرأ لابن حجر العسقلاني شارح البخاري أن هماماً سمع من أبي هريرة نحو أربعين ومائة (١٤٠) حديث بإسناد واحد[٣] .

وإذا بالصحيفة بعد تحقيقها وإخراجها تتضمن (١٣٨) حديثاً مما يدل علي شهرتها وتداولها بين العلماء .

فهذه الصحف الثلاث التي تناولناها تؤكد بيقين - هي وغيرها -أن السنة لم تتناقل عن طريق الحفظ فقط ، بل ودون بعضها كما رأينا في عهد النبي - صلي الله عليه وسلم-وصحابته ، ولم يبدأ التدوين في أوائل القرن الهجري الثاني كما كان يشيع ، وإذا كان هذا المدون قليلاً فإنه علي كل حال يكفي في تبديد ذلك الوهم الشائع ، عند الكثيرين من أن السنة تنوقلت بطريق الرواية وحدها ." إن كتبنا وأخبارنا ووقائعنا التاريخية لا تدع مجالاً للشك في تحقيق تقييد الحديث في عصر النبي نفسه،وليس علي رأس السنة الثانية كما يَمُن علينا هذان المستشرقان (جولدزيهر وشبرنجر)،وهي تنطق - فوق ذلك-بصدق جميع الوقائع والأقوال والسير والتصرفات التي تنطوي عليها الأحاديث الصحاح والحسان في كتب السنة جميعها، لا في بعضها دون بعض كما يظن دوزي[٤] .

---

(١) انظر : صحيفة همام : ٢١ - ٢٣ الطبعة الثانية طبعة دمشق ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

(٢) المصدر السابق : ٢٠ .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر : ١١ / ٦٧ .

(٤) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ٣٣ ، وقال في موضع آخر ص ٣٦ : فما انتظرنا اعترافاتهم بتدوين الحديث ، وماخفيت علينا الغاية من هذه الاعترافات وسواء علينا أأقروا أو جحدوا فإن رب الدار أدري بما فيها،وإن كتبنا الأمينة الموثوقة نطقت بوجود صحف مكتوبة في الحديث علي عهده عليه السلام،ومايدرينا لعل جميع هذه الصحف ماثلة في كتب=

وقال الشيخ طاهر الجزائري[١] : " وقد توهم أناس .... أنه لم يقيد في عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين بالكتابة شيء غير الكتاب العزيز وليس الأمر كذلك فقد ذكر بعض الحفاظ أن زيد بن ثابت ألف كتاباً في علم الفرائض .. وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . بل ودون في عهده - صلي الله عليه وسلم - كما ذكر في موضع آخر[٢] " .

السنة في عصر الخلفاء الراشدين :

في عصر الخلفاء الراشدين وجدنا الصحابة - رضي الله عنهم - قد احتاطوا في رواية السنة ، وذلك بعد انتشار الاسلام ، ودخول الكثيرين من العرب وغيرهم في دين الله أفواجا ، فكان جل همهم عرض الأصل الأول علي الناس وهو القرآن الكريم واشتغالهم به ودراستهم له ، وتطبيقهم لما فيه مع الاقلال من رواية الأحاديث،كي لا ينشغل الناس بها عن القرآن الكريم ، وهم أحوج إلي القرآن ومدارسته ، ولم يزل غضا طريا ، يتضح ذلك فيما ذكر عن عمر ابن الخطاب-رضي الله عنه - في وصيته التي أوصي بها وفده إلي الكوفة حين سار معهم عمر إلي موضع يقال له (صِرار)[٣] ثم قال : (أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا : نعم نحن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم مشيت معنا فقال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم ، جَوّدوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم -وامضوا وأنا شريككم (أي فيما أمرتكم به) فلما قدم قرظة بن كعب - أحد أعضاء الوفد - قالوا : حدثنا . قال : نهانا عمر بن الخطاب[٤] .

= المسانيد في بطون مخطوطات الحديث المبثوثة في مكتبات العالم كما مثلت في مسند ابن حنبل صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص وصحيفة أبي هريرة لهمام .

(١، ٢) : توجيه النظر ص ٦ ، ٨ .

(٣) بكسر الصاد وهو قرب المدينة .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١٢٠ .

وقد ذكر ابن حزم هذه الرواية - كذلك-لكنه شك في صحتها لأن الشعبي[١] الذي روي تلك القصة عن قرظة بن كعب الأنصاري لم يلقه،قال:ومانعلم أنّ الشعبي لقي قرظة ولا سمع منه بل لاشك في ذلك ، لأن قرظة - رضي الله عنه - مات والمغيرة ابن شعبة أمير الكوفة .. ومات المغيرة سنة خمسين بلا شك[٢]، والشعبي أقرب إلي الصبا ، فلا شك في أنه لم يلق قرظة قط فسقط هذا الخبر ، بل قد ذكر بعض أهل العلم بالأخبار أن قرظة بن كعب مات وعلي - رضوان الله عليه - بالكوفة . فصح -يقيناً - أن الشعبي لم يلق قط قرظة ولا عقل عنه كلمة[٣] .

ولكن ابن حزم علق بعد ذلك علي روايات مماثلة قائلاً :(إنما معني نهي عمر - رضي الله عنه - عن الحديث عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - لو صح - فهو بيّن في الحديث الذي أوردناه من طريق قرظة ، وإنما نهي عن الحديث بالأخبار عمن سلف من الأمم وعما أشبهه)[٤] .

وقال ابن عبد البر معلقاً علي نفس الرواية : (إن عمر إنما نهي عن الحديث عما لا يفيد حكماً ولا يكون سنة) ثم ذكر أن بعض العلماء طعن في حديث قرظة ، وذكر مايدل علي خلافه[٥] .

فعمر - رضي الله عنه-كان علي حق فيما ارتآه من الاشتغال بالقرآن وتجويده ،

---

(١) الشعبي (عامر بن شراحيل) قال أبو سعد بن السمعاني عنه : ولد سنة عشرين وقيل ٣١ هـ ومات سنة ١٠٩ هـ ، وقال ابن حبان : مولده سنة ٢٠ هـ ومات سنة ١٠٩ هـ انظر : تهذيب التهذيب : ٥ / ٦٥ طبعة بيروت .

(٢) قرظة بن كعب الأنصاري قال عنه ابن الأثير : إنه توفي في خلافه علي بالكوفة انظر : أسد الغابة : ٤ / ٣٩٩ طبعة الشعب : فإذا كان قرظة قد توفي والمغيرة علي الكوفة فإن شك ابن حزم في عدم اللقيا غير صحيح،ولكن شكه في عدم اللقيا إذا كان قد توفي وعليّ علي الكوفة صحيح .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم : ٢٤٨/٢ - ٢٤٩

(٤) المصدر السابق : ٢ / ٢٥٠ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ٢ / ١٢١ وانظر ما بعدها .

والإقلال من الرواية حفاظاً علي السنة من أعدائها،بعد أن ارتد من العرب عن الاسلام من ارتد،فلا يستكثر الناس من روايتها فيدخلها التحريف والنقص من الفاجر والفاسق والمرتد .

بل إن الصحابة أنفسهم كان منهم المقل في الرواية خشية الوقوع في الخطأ . أو الكذب علي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - كالزبير بن العوام،وزيد بن أرقم، وغيرهما . فعن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : قلت للزبير : إني لا أسمعك تحدث عن رسول - صلي الله عليه وسلم - كما يحدث فلان وفلان ، قال : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : (من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)[١] .

وهذا أنس بن مالك يقول : إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : (من تعمد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النار)[٢] .

وكان إذا حدث عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - حديثا ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - حذراً من أن يقول علي الرسول ما لم يقله دون قصد منه .

وقد كان بعض الصحابة من المكثرين للرواية كأبي هريرة،وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو،والسيدة عائشة،وجابر بن عبد الله،وغيرهم،إلا أن كثرتهم للرواية كانت في عهدي أبي بكر وعمر بصفة خاصة كثرة نسبية ، لأن منهج الخليفتين الراشدين كان حمل الصحابة علي الإقلال من الرواية ، والتثبت منها ، من جهة ، والعناية بالقرآن من جهة أخري . قال أبو هريرة بعد وفاة عمر - رضي الله عنه -:لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة .[٣]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب إثم من كذب علي النبي حديث رقم ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه حديث ١٠٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٢١.

وما روي من أن عمر حبس ثلاثة من الصحابة (ابن مسعود ، وأبو الدرداء وأبو ذر وفي رواية أخري أبو مسعود الانصاري بدلا من أبي ذر) لإكثارهم من الحديث غير صحيح ، يقول الدكتور مصطفي السباعي رحمه الله[١] لقد لبثت كثيراً أشك في هذه الرواية وأقلبها علي جميع وجوه النظر حتي قرأت في كتاب (الاحكام) لابن حزم ما يلي : (وروي عن عمر أنه حبس ابن مسعود من أجل الحديث عن النبي - صلي الله عليه وسلم - وأبا الدرداد وأبا ذر) وطعن ابن حزم في هذه الرواية بالانقطاع : وأيده فيما قال ثم نقل عنه قوله : (إن الخبر في نفسه ظاهر الكذب والتزايد ، لأنه لا يخلو من أن يكون اتهم الصحابة،وفي هذا ما فيه ، أو يكون نهي عن نفس الحديث وعن تبليغ السنة ، وألزمهم كتمانها وجحدها ، وهذا خروج عن الإسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلاً ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين فلقد ظلمهم،فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونه : أي الطريقين الخبيثين شاء) .

ولم تقتصر عناية الصحابة-رضوان الله عليهم-علي الإقلال من الرواية والاحتياط في الحديث بل وكان من منهجهم أيضاً التثبت والتأكد من صحة الخبر المنسوب إلي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - استيثاقاً للسنة وتثبتاً من صحتها .

وقد اعتاد كثير من المؤرخين للشريعة الاسلامية أو المتحدثين عن تدوين السنة أن يذكروا هذه الأمثلة المشهورة عن أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم .

فأما أبو بكر فهو أول من احتاط في قبول الأخبار،كما يحكي الحافظ الذهبي في ترجمته . روي ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدة في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-تلتمس أن تورث فقال أبو بكر : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً،وما علمت أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ذكر لك شيئاً حتي أسأل الناس ، ثم

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي : ٧٩ وانظر نص كلام ابن حزم في:الإحكام في أصول الأحكام : ٢ / ٢٤٩ مطبعة العاصمة - القاهرة .

سأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : سمعت رسول الله - صلي الله عليه وسلم - يعطيها السدس ، قال أبو بكر : سمع ذلك معك أحد ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال : سمعت رسول الله - صلي الله عليه وسلم - يعطيها السدس ، فأنفذ ذلك لها أبو بكر رضي الله عنه[١].

وأما عمر - رضي الله عنه - فقد روي أبو سعيد الخدري قال : (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسي كأنه مذعور فقال استأذنت علي عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن فرجعت وقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم -: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع،فقال : والله لتقيمن عليه بينة . أمنكم أحد سمعه من - النبي - صلي الله عليه وسلم - فقال أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم ، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال ذلك[٢]).

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان إذا فاته عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - حديث ثم سمعه من غيره يحلف المحدث الذي يحدث به ، قال النيسابوري معلقاً علي ذلك[٣] والحديث في ذلك عنه مستفيض مشهور .

لكن ، هل تعني هذه الروايات - وأمثالها - أن منهج أبي بكر وعمر عدم قبول الخبر إلا إذا رواه اثنان فأكثر ، أو الاستحلاف للراوي عند علي ؟

لقد ذهب إلي ذلك بعض المعتزلة قديما، وبعض علماء الحديث،وهو غير صحيح، إذ أن الروايات التي رويت بغير هذا السبيل - وبخاصة في الصحيحين - أكثر من

---

(١)انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٣ طبعة الهند سنة ١٣٣٣ وانظر معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري : ١٥ بتصحيح الدكتور السيد معظم حسين طبع القاهرة . ومجموع فتاوي ابن تيمية : ٢٠ / ٢٣٤ طبعة مكتبة ابن تيمية الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ

(٢) ذكره البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا وذكره مسلم في صحيحه والإمام مالك في الموطأ .

(٣) معرفة علوم الحديث : ١٥ وانظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ١٠ .

أن تحصي بل قال السيوطي نقلاً عن ابن حجر العسقلاني : قال شيخ الاسلام (ابن حجر) : وهو كلام من لم يمارس الصحيحين أدني ممارسة . فلو قال قائل ليس في الكتابين حديث واحد بهذه الصيغه لما أبعده ، وقال ابن العربي في شرح الموطأ : كان مذهب الشيخين أن الحديث لايثبت حتي يرويه اثنان، وقال :وهو مذهب باطل، بل رواية الواحد صحيحة إلي - النبي صلي الله عليه وسلم -[١] .

إن تعميم هذه الطريقة عن أبي بكر وعمر بحيث لا يقبل حديث لديهما إلا إذا رواه اثنان فأكثر خطأ في الفهم انتقل إلي كثير من كتب المؤرخين للسنة . يصور ذلك الدكتور مصطفي السباعي - رحمه الله - فيقول : (وانتقل هذا الفهم إلي كثير ممن كتب في تاريخ التشريع الاسلامي ، وتاريخ السنة في العصر الحديث ، فأصبح عندهم قضية مسلمة لا يذكرون غيرها ، ومن ذهب إلي هذا أساتذتنا الأجلاء مؤلفو مذكرة تاريخ التشريع الاسلامي في كلية الشريعة بالأزهر ، فقد ذكروا في باب شروط الأئمة للعمل بالحديث أن هذا كان شرط أبي بكر وعمر وعلي للعمل بالحديث[٢] .

ثم ذكر تسعة آثار تدل علي أن عمر أخذ بحديث رواه صحابي واحد دون توقف أو تشكك[٣] . وهي آثار مستفيضة كما أشار ابن حجر من قبل ، وقد بين العلماء المراد من هذه الآخبار التي وردت عنهم ، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه إنما أراد - كما يقول الذهبي[٤] - (التثبت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية ، ألا

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي : ١ / ٧١ بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥ هـ - سنة ١٩٦٦ م .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي : ٨١ والمذكرة المشار إليها هي : تاريخ التشريع الاسلامي للشيخ السبكي وزملائه ص ٩٣ والنص كما ذكره الدكتور عجاج الخطيب في السنة قبل التدوين هامش ص ١٩٦ يقول:"فلم يكن أبو بكر ولا عمر يقبلان من الأحاديث إلا ما شهد اثنان أنهما سمعاه من رسول الله - صلي الله عليه وسلم -" وكذلك فعل الدكتور عبد العظيم شرف الدين في كتابه (محاضرات في السنة) ص ٤٣ الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م قال :"فأبو بكر لم يكن يقبل الحديث إلا إذا شهد اثنان علي أنه ثبت عن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وكذلك كان يصنع عمر".

(٣) السنة ومكانتها في التشريع : ٨١ - ٨٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٣ - ٤ .

تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنن ، فلما أخبره ما اكتفي حتي استظهر بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج) ولم يروَ عن أبي بكر أنه طلب راويا آخر إلا في تلك الحادثة التي أعلها ابن حزم بالانقطاع وأنها لا تصح[١] .

وأما رواية إستئذان أبي موسي الأشعري،فإن في بعض طرقها ما يبين السبب فقد جاء فيها قول عمر - رضي الله عنه : (أما أني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ـ)[٢] فهو إذن درس من فاروق الإسلام للصحابة ليتثبتوا في رواية سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ـ فإنها دين .

وأما علي ـ رضي الله عنه ـ فإن ما روي عنه من قبوله الأخبار دون استحلاف يدل علي أن الإستحلاف لم يكن منهجه وطريقته .

وهكذا نري أن الخلفاء قبلوا أخبار الآحاد ، وأن ما روي عنهم من إشتراط راويين أو أكثر أو استحلاف الراوي لا يعدو أن يكون من باب التثبت أو الاستيثاق ، والتحقق والاحتياط ، لا منهجاً مقرراً وطريقة ثابتة .

وقد كان من طريقة تثبتهم للرواية أن يعرضوها علي القرآن فإن لم تتصادم معه أو تعارض مقرراته قبلت ، وإلا رُدَت ، وهذا ما فعلته السيدة عائشة ـ رضي الله تعالي عنها ـ حين ردت أحاديث زواج المتعة قالت : بيني وبينكم كتاب الله وقرأت قوله تعالي : (والذين هم لفروجهم حافظون إلا علي أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون)[٣] ، ثم قالت : فمن ابتغي وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا[٤] .

---

(١) انظر : الإحكام لابن حزم : ٢ / ٢٥١ مطبعة العاصمة القاهرة .

(٢) موطأ الامام مالك كتاب الاستئذان ، باب الاستئذان حديث رقم ٢ .

(٣) سورة "المؤمنون" : ٢٣ / ٥ - ٧ .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الطهارة .

وقد يكون التثبت عن طريق ضبط الرواية وحفظها ، ومبلغ ذلك عند الراوي . يقول ابن القيم[١] : (وفي الصحيحين من حديث عروة بن الزبير قال : قالت عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌ بنا إلي الحج فالقه ، فاسأله فإنه حمل عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ علماً كثيراً. قال : فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال : (إن الله لا ينزع العلم من الناس إنتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ويبقي في الناس رؤوس جهال يفتونهم بغير علم فيُضلون ويَضِلُّون) وقال عروة : فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قال : أحدثك أنه سمع رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ يقول هذا؟ قال عروة : نعم ، حتي إذا كان عام قابل قالت لي : إنَّ ابن عمرو قد قدم ، فالقه ، ثم فاتحه حتي تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، فقال فلقيته ، فسألته فذكر لي نحو ما حدثني به في المرة الأولي ، قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص وقال : فقالت عائشة : والله لقد حفظ عبد الله) .

فقد تشككت السيدة عائشة أول مرة وأنكرت الحديث ، وفي المرة الثانية وجدت عبد الله بن عمرو حافظاً ضابطاً لم يزد في الحديث حرفا ولم ينقص فلم تزد هي الأخري - رضي الله عنها - عن قولها : ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص والله لقد حفظ عبد الله ، هو اختبار للتحقيق والتثبت إذن ، وقد اجتازه صاحب الصحيفة الصادقة ، ووصف بنفس الصفة التي اختارها لصحيفته .

وبالنسبة لتدوين السنة في عهد الخلفاء الراشدين نري الصحابة - رضي الله عنهم - يترددون في كتابتها بل ويحجمون عن ذلك مخافة التباس القرآن بالسنة

---

(١) اعلام الموقعين : ١ / ٥٥ - ٥٦ .

واختلاطه بها ، ولكن كان ذلك إلي حين حتي زالت العلة ، فكتبوا واستكتبوا .

يذكر الحافظ الذهبي[١] عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن أباها - رضي الله عنه - بات ليلة يتقلب كثيراً وكان قد جمع خمسمائة حديث فلما أصبح قال : أي بُنيّة هلُمّي الأحاديث التي عندك،فجئته بها فدعا بنارفأحرقها .

وعمر - رضي الله عنه - يعزم علي تدوين السنة وتسجيلها ثم يعدل عن ذلك . وقد استفتي أصحاب - النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً،ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنة ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً[٢] .

إن الخشية من ترك كتاب الله ومدارسة غيره ، ومزاحمته بكتب أخري قد يهمل بسببها،أو يضاهي بها،هو الذي دفع عمر إلي عدوله عن عزمه في كتابة السنة .

ويخطب علي - رضي الله عنه - في الناس قائلاً [٣] : أعزم علي كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم ، وتركوا كتاب ربهم .

ويبدو أن خوفهم علي القرآن أن يلتبس به غيره ، باعتباره لب الشريعة وعمدتها، وأصل أصولها هو الذي حداهم - في بادىء الأمر - إلي التشدد في كتابة السنة مخافة أن يضاهي بها كتاب الله ، فلما أمن ذلك وزال خوفهم ، لم يكره تدوين الحديث بل نصحوا بذلك حين رأوا صيانة الأمة لكتاب ربها وحفظها له وجمعها صحفه .

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١ / ٥ .

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : ١ / ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ٦٣ - ٦٤

فهذا أبو بكر رضي الله عنه يكتب لأنس بن مالك فرائض الصدقة التي سنها رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ، ويروي عن عمر رضي الله عنه (قيدوا العلم بالكتاب)[١] .

وقد ثبت عن أبي بكر كتابة شيء من السنة، وكذلك ثبت عن الصديق مثل ذلك[٢] .

وكان علي بن أبي طالب يحض علي العلم وكتابته، ويروي عنه قوله : من يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم ؟ وقد كان له صحيفة فيها العقل، وفكاك الأسر، ولا يقتل مسلم بكافر ، وفي رواية: فإذا فيها المدينة حرام كما في الصحيحين[٣] . قال ابن عبد البر : (وقد روي عن علي - رضي الله عنه - في هذه الصحيفة وجهان : أحدهما : تحريم المدينة ، ولعن من انتسب إلي غير مواليه في حديث فيه طول ، وفيه المسلمون تتكافأ دماؤهم) الحديث[٤] .

هذه الروايات - وغيرها كثير - تثبت أن الصحابة - رضوان الله عليهم قد أباحوا الكتابة، وكتبوا الحديث لأنفسهم ، وكتب طلابهم بين أيديهم، وأصبحوا يتواصون بكتابة الحديث وحفظه[٥] .

السنة في عصر التابعين وتابعيهم :

التابعون هم الذين رأوا صحابة رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ وتلقوا عنهم القرآن والسنة ، ومن الطبيعي أن تنتقل كراهية كتابة الحديث التي كانت شائعة

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٧٢ .

(٢) انظر : جامع بيان العلم ١ / ٧٢ ومسند الامام أحمد : ١ / ١٨٣ والسنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) انظر الفكر السامي للحجوي : ١ / ٥٣ وانظر : جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٧١ .

(٤) انظر : جامع بيان العلم لابن عبد البر : ١ / ٧١ .

(٥) انظر في ذلك السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب ٣٠٩ - ٣٢١ .

لدي الصحابة إلي التابعين وبخاصة الأكابر ، لنفس المقصد الذي ابتغاه الصحابة من قبل وهو خوفهم أن يؤدي ذلك إلي التباس القرآن بالسنة ، وانشغال الناس بها عن القرآن أو مضاهاتهم ماكتبوه بالقرآن . ومما عمق فكرة الكراهية في نفوسهم أن آراءهم الشخصية قد اشتهرت ولعل طلاب العلم يكتبونها بجوار حديث رسول الله فتلتبس به ، فهذا جابر بن زيد المتوفي سنة ٩٣ هـ لما قيل له إنهم يكتبون رأيك ، فقال مستنكرا يكتبون ماعسي أن أرجع عنه غدا[١] .

ويري بعض المعاصرين[٢] : أن ماورد من أقوال من التابعين تدل علي كراهة الكتابة ليس المقصود بها كراهة كتابة الحديث بل كتابة الرأي ، وأن الاخبار التي وردت في النهي دون تخصيص إنما قصد بها الرأي خاصة ، فالصحابة - رضي الله عنهم - خشوا اختلاط القرآن بالسنة ، أو الاكباب علي السنة دونه ، والتابعون خشوا اختلاط السنة بالآراء الشخصية.

لكن هذه الفكرة - فكرة كراهة الكتابة سواء كانت من أجل هذا الغرض أو ذاك - بدأت تنحسر أمام عوامل أخري حثت علي الكتابة ، بل أوجبتها عند الضرورة ؛ منها ظهور الكذب في الحديث علي أيدي الزنادقة والشعوبيين وأصحاب الملل والأهواء السياسية وبخاصة بعد التفرق السياسي للمسلمين بعد سنة ٤٠ هـ إلي شيعة وخوارج وجمهور إسلامي ينفر من الفريقين ، وقد وجد في كل فريق ماكان يستبيح لنفسه أن يؤيد مذهبه بوضع بعض الأحاديث كذبا علي رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ باستثناء الخوارج فقد كانت أقل الفرق وضعاً للأحاديث ؛ لأنها تعتقد أن مرتكب الكبيرة كافر ، يقول أخو ابن شهاب الزهري : (سمعت يعني ابن شهاب يقول : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ماكتبت حديثاً ولا أذنت في كتابته) ولعل هذا هو رأي أكثر العلماء في ذلك العصر إذ يرون

---

(١) انظر : جامع بيان العلم : ٢ / ٢١ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب : ٣٢٤ - ٣٢٥ .

الخطر يتهددها بإلباسها ماليس منها .

ومن عوامل شيوع الكتابة والحث عليها أن الناس بدأت تميز بين فكرة النهي عن كتابة الأحاديث،وفكرة النهي عن كتابة الآراء الشخصية،وأصبح كثير من أوساط التابعين في أول المائة الثانية لا يرون بأساً في تقييد العلم، ويرخصون لتلامذتهم بتقييده[١]؛ بل يحرصون علي كتابتها حرصا شديداً ، حتي إن سعيد بن جبير المتوفي سنة ٩٥ هـ يحكي أنه كان يسمع الحديث عن ابن عمر وابن عباس فأكتبه علي واسطة الرّحل حتي أنزل فأكتبه . وهذا سعيد بن المسيب المتوفي سنة ٩٤ هـ يرخص لعبد الرحمن بن هرملة بالكتابة حينما شكا إليه سوء حفظه . وذاك عامر الشعبي الذي كان يرفض الكتابة من قبل يردد قوله (الكتاب قيد العلم) وأصبحت لهم كتب يتعاهدونها كما يقول الحسن البصري المتوفي سنة ١١٠ هـ[٢].

ومن العوامل كذلك مادفع عمر بن عبد العزيز المتوفي سنة ١٠١ هـ - رضي الله تعالي عنه - إلي أن يدون السنة تدوينا رسمياً ، وهو ماأفصح عنه عمر في رسالته التي بعث بها إلي عامله بالمدينة أبي بكر بن حزم ورواها البخاري فقال : (كتب عمر بن عبد العزيز إلي أبي بكر بن حزم : انظر ماكان من حديث رسول الله - صلي الله عليه وسلم - فاكتبه ، فإنى خفت دُروس العلم ، وذهاب العلماء . ولا تقبل إلا حديث النبي صلي الله عليه وسلم ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتي يُعلَّم من لا يَعلم ، فإن العلم لا يهلك حتي يكون سراً)[٣] . كما أمر ابن شهاب الزهري المتوفي سنة ١٢٤هـ بجمع الحديث وتدوينه ، وقد رأي عمر أولي ثمار التدوين علي يدي ابن شهاب الذي يقول : أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن

---

(١) انظر : علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح : ٤٣ .

(٢) انظر هذه الأخبار وغيرها في : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ / ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ .

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم وهو الحديث الأول في الباب ورواه مالك في الموطأ .

فكتبناها دفتراً دفتراً ، فبعث إلي كل أرض له عليها سلطانه دفتراً[١] .

فابن شهاب الزهري هو أول من حقق لعمر بن عبدالعزيز رغبته في تدوين السنة ، وأول من استجاب له من العلماء إذْ بعث إليهم بكتبه في كل الأمصار ، وقد رحل الكثيرون من الصحابة إليها يأمرهم بتدوين السنة قبل اندراسها بموت العلماء أو تسرب الوضع إليها ، وقد ناقش عمر - رحمه الله - العلماء بعض ماجمعوه[٢].

تلك هي الخدمة العظمي التي أسداها أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز للسنة النبوية بأن أمر بتدوينها تدوينا رسمياً ، تماماً كما فعل جده عمر بن الخطاب - رضي الله تعالي عنه - حين أشار علي أبي بكر بجمع القرآن خوفاً عليه ، وحين حاول جمع السنة ، ثم رجع في عزمه خوفاً علي القرآن أيضاً ، وقد قيض الله لهذه المهمة الرسمية خامس الخلفاء الراشدين .

فإذا أشار علماء الحديث إلي أن تدوين السنة كان علي رأس المائة الثانية للهجرة فإنما يعنون التدوين الرسمي ، لأن تدوين السنة بدأ في عصر الرسول نفسه كما بينا من قبل .

لكن هل كانت هناك محاولة رسمية بلغت حد التنفيذ في جمع السنة وتدوينها قبل محاولة عمر بن عبد العزيز ؟ يذكر الدكتور عجاج الخطيب[٣] أنه تبين له أن أمير مصر عبد العزيز بن مروان (والد عمر) المتوفى سنة ٨٥ هـ قد حاول ذلك حين بعث إلي عالم حمص التابعي الكبير كثير ابن مرة الحضرمي،وكان قد أدرك سبعين بدرياً من أصحاب رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ بحمص : أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب - رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ من أحاديثهم إلا حديث أبي

---

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله : ١ / ٧٦ .

(٢) انظر : السنة قبل التدوين للدكتور عجاج الخطيب : ٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق :٣٧٣ - ٣٧٤ .

هريرة فإنه عندنا : وقد سمع حديث أبي هريرة منه شخصياً ، وكان هذا الطلب الرسمي أثناء إمارته علي مصر بين سنة (٦٥ - ٨٥) هجرية . ويرجح أن هذا الطلب كان في أوائل إمارته ، إلا أن المصادر التي بيننا لا تخبرنا عن امتثال كثير لطلب الأمير ، وأغلب الظن أنه كذلك ، ولو ثبت هذا لكان التدوين الرسمي المشهور مسبوقاً بتدوين رسمي آخر بربع قرن تقريباً .

وعلي كل حال فإن مجرد هذا الطلب الرسمي من عبد العزيز بن مروان ليدلنا علي مدي الاهتمام بالسنة وتدوينها لتصبح مسجلة في السطور كما هي محفوظة في الصدور .

ومن ذلك الوقت شاعت الكتابة ، فلا نجد أحداً من أهل الرواية إلا وله تدوين أو صحيفة أو نسخة - كما يقول الحجوي في كتابه[1] وشاع التدوين في أرجاء المدن الاسلامية حيث انساح الصحابة والتابعون فيها ، وكثر التأليف ، والتصنيف .

وبعد عبد الملك بن جريج المتوفي سنة ١٥٠ هـ أول من صنف وبوّب في مكة ، ومحمد بن إسحاق المتوفي سنة ١٥١هـ، وسعيد بن أبي عروبة المتوفي سنة ١٥٦هـ، والإمام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ بالمدينة،وكان بالبصرة الربيع بن صبيح المتوفي سنة ١٦٠ هـ،وحماد بن سلمة المتوفي سنة ١٧٦ هـ . وبالكوفة سفيان الثوري المتوفي سنة ١٦٧ هـ . وبالشام عبد الرحمن الأوزاعي المتوفي سنة ١٥٧هـ . وباليمن معمر بن راشد المتوفي سنة ١٥٣ هـ. وبمصر الليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥ هـ،وعبد الله بن وهب المتوفي سنة ١٩٧ هـ . وغير ذلك من الأمصار الاسلامية التي أنجبت من العلماء البررة الذين لم يضنوا بجهودهم ، في جمع أحاديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ وتبويبها ، وتنظيمها ، وضبطها، ومعرفة صحيحها من معلولها .

---

(١)الفكر السامي : ٣٣٤/١ .

والكتب التي ألفت في علم الحديث رواية تختلف في درجة صحتها ، وطبقاتها ، ونوعية تأليفها[١] .

- فمنها كتب ضمت إلي جانب الحديث النبوي فتاوي الصحابة والتابعين كموطأ الإمام مالك بن أنس .

- ومنها مايطلق عليه الصحاح ، والمراد بها - في الأغلب - صحيح البخاري ، ومسلم ، وأبي داود، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وقلنا في الأغلب لأنه لم يلتزم الصحة إلا البخاري ومسلم ، أما بقية الكتب الستة وهي مايطلق عليها السنن الأربعة فإن أصحابها كانوا يذكرون عن كل صحابي مايقع لهم من حديثه - كمايقول ابن كثير - في اختصاره لعلوم الحديث[٢]، ففيها الصحيح وغيره .

وقد عقب ابن كثير علي قول الحافظ أبي طاهر السلفي في الأصول الخمسة يعني البخاري ومسلماً ، وسنن أبي داود ، والترمذي والنسائي : إنه اتفق علي صحتها علماء المشرق والمغرب . فقال إنه تساهل منه ، وقد أنكره ابن الصلاح وغيره[٣] .

فإذا أطلق لفظ (رواه الخمسة) فالمراد بهم هؤلاء المشار إليهم في الفقرة السابقة باتفاق .

ويري بعض العلماء - وهم قلة - أن سادس الكتب الستة الصحيحة هو موطأ الإمام مالك وليست سنن ابن ماجه .

وإذا قيل (رواه الشيخان) أو (روي في الصحيحين) أو (متفق عليه) فإن

---

(١) سنعقد فصلاً قادماً - ان شاء الله تعالي - للتعريف بأمهات كتب السنة وبيان خصائصها ، ومميزاتها ، وشروحها .

(٢) اختصار علوم الحديث : ٣٣ مع الباعث الحثيث مطبعة صبيح الطبعة الثالثة .

(٣) اختصار علوم الحديث : ٣٣ مع الباعث الحثيث مطبعة صبيح الطبعة الثالثة واسم السلفي أحمد بن محمد توفي سنة ٥٧٦ هـ وانظر تذكرة الحفاظ ٤ / ٩٠ - ٩٥ كما ذكر الشيخ شاكر في هامش الصفحة السابقة .

ذلك يعني صحيحي البخاري ومسلم .

- ومنها كتب الجوامع التي تجمع أقسام الحديث ، وتتضمن جميع أبوابه وهي : العقائد ، والأحكام ، والآداب ، والتفسير ، والتاريخ ، والسير،والفتن ، والمناقب كجامع البخاري ، وجامع الترمذي .

وكتب الجوامع هذه أنواع كذلك :

فمنها ماجمع بين صحيحي البخاري ومسلم:كمصنف أبي بكر الجوزقي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، والبغوي المتوفي سنة ٥١٦ هـ ، وابن أبي حجة أحمد القرطبي المتوفي ٦٤٠ هـ .

ومنها ماجمع بين الكتب الستة:ككتاب أبي الحسن رزين بن معاوية السرقطي المتوفي سنة ٥٣٥ هـ ، ومصنف أبي السعادات محمد الجزري الشافعي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ ، المسمي (جامع الأصول من أحاديث الرسول) مع ملاحظة أن سادس الكتب الستة عنده موطأ الإمام مالك وليس سنن ابن ماجه .

ومنها جوامع جمعت بين كتب حديثية متعددة ككتاب (بحر المسانيد) للحافظ الحسن بن أحمد السمرقندي المتوفي سنة ٤٩١هـ و(جامع المسانيد والألقاب) لابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ و(مصابيح السنة)للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء المتوفي ٥١٦ هـ . و(جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن) للحافظ ابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ هـ جمع فيه بين الكتب الستة،ومسند الإمام أحمد،ومسند أبي بكر البزار،ومسند الحافظ أبي يعلي الموصلي ، والمعجم الكبير للطبراني رحمهم الله : قال ابن كثير : (فهذه عشرة كاملة أذكر في كتابي هذا مجموع مافي هذه العشرة وربما زدت عليها من غيرها ، وقلّ مايخرج عنها من الأحاديث مما

يحتاج إليها في الدين ، وهذه الكتب العشرة تشتمل علي أدني من مائة ألف حديث بالمكررة)[١].

وككتاب (جمع الجوامع) لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ و(كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) لابن حسام الهندي وهو تهذيب (للجامع الكبير) الذي ألفه السيوطي .

ومن أنواع الجوامع كتب جمعت أحاديث الأحكام فقط (كالسنن الكبري) و (الصغري) لأبي بكر البيهقى المتوفي سنة ٤٥٨ هـ ، و (عمدة الأحكام) للحافظ عبد الغني القدسي المتوفي سنة ٦٠٠ هـ وقد جمع فيه بين أحاديث الأحكام الواردة في الصحيحين فقط . و (المنتقي) لابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ والذي شرحه الإمام الشوكانى فى كتابه المعروف (نيل الأوطار) وألف ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ كتاب (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) الذى شرحه الإمام الصنعاني محمد بن إسماعيل المتوفي سنة ١١٨٣ هـ .

- ومنها مايسمي بالمسانيد ، وهي التي تجمع فيها الأحاديث وترتب علي أساس أسماء الصحابة ترتيباً هجائياً ، أو علي أساس سوابقهم في الإسلام ، أو قبائلهم وأنسابهم .

فإذا كانت الجوامع تراعي وحدة الموضوع فإن المسانيد لا تراعي ذلك ، بل تجد حديث زكاة بجانب حديث سيرة ، أو حديث عقيدة أو تفسير .... وهكذا . وهي سمة غالبة عند مصنفي المسانيد ، ولكن عند دراستي للحافظ ابن كثير - وهو محدث حافظ - وجدت أنه وضع بعض المسانيد علي أساس الترتيب الفقهي أي وحدة الموضوع كما نري في كتابه (مسند عمر بن الخطاب الفقهي)[٢] .

---

(١) جامع المسانيد : ١ / ورقة ٢ ، ٣ مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ١٨٤ حديث وراجع كتابنا : ابن كثير ومنهجه في التفسير : ١٣١ - ١٣٢ مطبعة أسامة الطبعة الأولي ١٩٨٤.

(٢) وهي نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، وليس لها مثيل-علي مدي علمي- في مكتبات =

ويعد أبو داود بن الجارود الطيالي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ أول من ألف المسانيد ، وسار علي هديه بعض المصنفين في الحديث كأسد بن موسي المتوفي سنة ٢١٢ هـ ، وعبيد الله بن موسي العبسي المتوفي سنة ٢١٣ هـ ، وعثمان بن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٩ هـ وغيرهم .

لكن أشهر المسانيد شهرة ، وأجمعها لأحاديث رسول الله - صلي الله عليه وسلم - هو مسند الامام أحمد بن حنبل الذي سنتناوله بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله تعالي .

ومنها كتب (المعاجم) التي تذكر الأحاديث علي ترتيب الشيوخ أو القبائل علي حروف التهجي[١] . ومن أشهر المؤلفين في هذا النوع سليمان بن أحمد الطبراني المتوفي سنة ٣٦٠ هـ إذ له المعاجم الثلاثة الصغير والأوسط والكبير ، وقد رتب شيوخه في الأوسط والأصغر علي حروف المعجم ، وفي الكبير رتب الصحابة علي الحروف واشتمل على خمسمائة وخمسة وعشرين ألف حديث[٢] .

ومنها كتب (الأطراف) وهي التي تذكر طرفا من الحديث يدل علي بقيته ، مع ذكر أسانيدها إما علي وجه الاستيعاب والحصر ، وإما مقيدة بمصنفات معينة

= العالم إذا كتبت بخط ابن كثير نفسه، وقد رأيتها كاملة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً لكن بدأ آثمة امتدت حين شاهدت المخطوطة في العام الماضي إلي هذه النسخة الأم والوحيدة فسطت علي أكثر من مائة ورقة من المخطوطة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويعزي الدارسين أن قسم الميكروفيلم لديه صورة كاملة عن المخطوطة قبل فقدان هذا الجزء وقد احتفظت بصورة خاصة للمخطوطة في مكتبتي . وقد حقق الدكتور عبد المعطي قلعجي هذا المسند ونشر في دار الوفاء بالقاهرة ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

(١) انظر : المبتكر في علوم الأثر للاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف : ٨١ مطبعة مخيمر الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(٢) انظر : السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفي السباعي : ١٢٥ مطبعة المدني الطبعة الأولي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م . وذكر في كتاب الأسلوب الحديث في علوم الحديث للاستاذ أمين الشيخ : ٩٦ أنه اشتمل علي خمسائة وعشرين ألف حديث الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

كأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي ، وأطراف الصحيحين للحافظ أبي نعيم الأصبهاني المتوفي سنة ٤٣٠ هـ وغير ذلك كثير .

ومن كتب علم الحديث رواية : المستدركات ، وهي التي تستدرك مافات من المصنفين من الأحاديث علي شروط أصحابها .

ومن أشهر الكتب في ذلك مستدرك الحاكم النيسابوري الذي استدرك علي الصحيحين مافاتهما علي شرطهما .

قال ابن كثير - نقلاً عن ابن الصلاح :- (إن الحاكم قد استدرك عليهما (البخاري ومسلم) أحاديث كثيرة ، وإن كان في بعضها مقال إلا أنه يصفو له شيء كثير .

قلت (أي ابن كثير): في هذا نظر، فإنه يلزمهما بإخراج أحاديث لا تلزمهما، لضعف روايتها عندهما ، أو لتعليلها ذلك)[١] .

ومن الكتب كذلك كتب المستخرجات وهي كما عرفها السيوطي - نقلا عن العراقي -: (أن يأتي المصنف إلي الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيده لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ثم قال : وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سنداً يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب)[٢] .

قال ابن كثير في اختصار علوم الحديث : (وقد خرجت كتب كثيرة علي الصحيحين ، يؤخذ منها زيادات مفيدة ، وأسانيد جيدة ، كصحيح أبي عوانة ، وأبي بكر الاسماعيلي ، والبرقاني،وأبي نعيم الأصبهاني وغيرهم ، وكتب أخري التزم أصحابها صحتها كابن خزيمة ، وابن حبان البستي ، وهما خير من المستدرك بكثير ، وأنظف أسانيد ومتوناً)[٣] .

---

(١) اختصار علوم الحديث : ٢٦ وانظر : تدريب الراوي للسيوطي ١ / ٩٩

(٢) تدريب الراوي : ١ / ١١٢ .

(٣) اختصار علوم الحديث متن الباعث الحثيث : ٢٧ طبعة صبيح الطبعة الثالثة .

تلك بعض أنواع كتب الحديث رواية ذكرناها علي سبيل المثال لا الحصر ، مع التأكيد علي أن بعض هذه الكتب قد التزمت الصحة فيما جمعت من أحاديث، كمصنفي البخاري ومسلم،وبعضها الآخر لم يلتزم الصحة،كالسنن الأربعة،ومسند الإمام احمد بن حنبل ، بل إن من المصنفات الحديثية ما اشتمل علي الأحاديث الضعيفة ، المعلولة والموضوعة تمييزاً لها من الأحاديث الصحيحة ، وإفراداً لها بالتأليف ، لئلا يختلط الغث بالسمين ، ومن أشهر كتب الموضوعات ما جمعه أبو الفرج بن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ وأسماه : (الموضوعات) قال ابن كثير عنه : (وقد صنف الشيخ أبو الفرج بن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات غير أنه أدخل فيه ما ليس منه وخرج عنه ما كان يلزمه ذكره ، فسقط عليه ولم يهتد إليه)[١] .

فقد ضمن ابن الجوزي كتابه ما يعتقد أنه موضوع،ولو كان في صحيحي البخاري ومسلم أو غيرهما ، فذكر حديثين في صحيح مسلم ، وحديثاً في البخاري ، وثمانية وثلاثين في مسند أحمد،وتسعة في سنن أبي داود،وثلاثين في جامع الترمذي،وعشرة في سنن النسائي ، وثلاثين في سنن ابن ماجه،وستين في مستدرك الحاكم ، وأحاديث أخري في كتب السنة الأخري .

قال الدكتور مصطفي السباعي - رحمه الله -: (وقد تعقبه العلماء فأقروا أكثر ما ذكر في كتابه ، وخالفوه في قليل منها ، وخاصة ما يتعلق بأحاديث البخاري ومسلم ، وأحاديث الإمام أحمد)[٢] .

ومنها كتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) لأبي عمر بن بدر الموصلي المتوفي سنة ٦٢٣ هـ،(واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) لجلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ ، و(الموضوعات) للشيخ علي القاري المتوفي سنة ١٠١٤ هـ . و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)لقاضي قضاة اليمن الإمام الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ وغير ذلك كثير .

---

(١) المصدر السابق : ٧٩ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفي السباعي - رحمه الله : ١٤٠ .